الباب السادس

في أحوال التابعين ومن بعدهم في الإنفاق

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الحادي

في أحوال التابعين ومن بعدهم في الإنفاق

عن منذر أن الرَّبيع بن خثيم كان إذا أخذ عطاءه فرَّقه، وتَرَك قَدْر ما يكفيه[1].

وروى نسير بن ذعلوق عن الربيع بن خثيم أنه وقف سائلٌ على بابه فقال: «أطعموه سُكّراً؛ فإن الربيع يحب السُّكّر»[2].

وحكي عن أبي الحسن الأنطاكي: «أنه اجتمع عنده نيِّفٌ وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرِّيِّ، ومعهم أرغِفة معدودة لا تُشبع جميعهم، فكسروا الرُّغفان، وأطفئوا السِّراج، وجلسوا للطعام، فلما رُفع، فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحدٌ شيئاً، إيثاراً لصاحبه على نفسه»[3].

وعن حذيفة العدوي، قال: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيتُه

---

(١) السير (٤/ ٢٥٨-٢٦٢).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٥٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ١٩).

ومسحت به وجهَه؛ إذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجلٌ يقول: آه. فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه، فأشار هشام: انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين»[1].

وعن عبد الله بن الوسيم الجمال قال: «أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دينٍ على رجل من أصحابنا، فأمر بالموائد فنُصِبت، ثم قال: لا. حتَّى تُصيبوا من طعامنا، فيجبُ علينا حقُّكم وذِمامِكُم. قال: فأَصبْنا من طعامه، فأمر لنا بعشرة آلاف درهمٍ في قضاء دينه، وخمسة آلاف درهم نفقةً لعياله».

وعن الصَّلتِ بن بسطام قال: «كان حمادُ بن أبي سليمان يُفَطِّر كل ليلة في شهر رمضان مائة إنسان، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً، وأعطاهم مائة مائة».

وعن عمرو بن قيس، قال: «حجَّ خَيْثَمَةُ مع نفرٍ من أصحابه، فلمَّا كانت ليلة جَمْعٍ سَمِعَ رجلاً: يُحدِّثُ رجلاً أن رجلاً

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٢٥٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨).

من جُعْفِي ذهبتْ نفقتُه وضلَّت راحِلتُه، فأتاه خَيْثَمةُ فقال له: هل عرفت رحْل هذا الرجل، الذي أُصيب وأين نزل منا؟ قال: نعم، موضع كذا وكذا، فأخبره بموضعه، فلمّا كان بعد الظهر من يوم النحر أتى الموضع، فسأل عن الرجل، فإذا هو برجلٍ لا يعرفه، فسأل عمّا أُصيب فأخبرَه، فدفع إليه صُرةً كانت فيها ثلاثون ديناراً وأثواباً كانت معه، فقال: تجهَّزْ بها إلى أهلك».

وعن الأعمش قال: «كُنّا نأتي خَيْثَمة فيقول: تَنَاوَل السَّلة من تحت السَّرير، فأناوِلُها وفيها خَبِيصٌ فيقول: إنِّي لستُ آكُلُهُ، ولكن أصنَعُهُ لكم».

قال الأعمش: «ورأيت على إبراهيم[1] ثياباً بيضاء، فقال: كسانيها خيْثَمةُ»[2].

وعن زهير أبي خَيْثَمَة قال: «استقرض أبي من الحسن بن الحُرِّ ألفَ درهمٍ فلمَّا جاء يرُدّها عليه، قال له الحسن بن حُرٍّ:

---

(١) إبراهيم بن يزيد النخعي.

(٢) خيثمة هو ابن عبد الرحمن الجعفي الكوفي تابعي جليل.

رواه هناد بن السري في الزهد (ص:٦٥٩)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (ص:٢٢٠، ٢٢٥)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص:١٨٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١١٣-١١٤).

اذهب فاشتر بها لزُهيرٍ سُكَّراً»[1].

وعن أصبغ بن زيد: «كان أويس إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم قال: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عُرياً فلا تُؤاخذني به»[2].

وقال أبو ثور: «قلَّ ما كان يُمسك الشافعي الشيء من سماحته».

قال الحميدي: «قدم الشافعي صنعاء، فضُربت له خيمة، ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء قوم فسألوه، فما قُلعت الخيمة ومعه منها شيء»[3].

وقال قتيبة: «كان الليث يستغلُّ عشرين ألف دينار في كل سنة، وقال: ما وجبت عليّ زكاة قط».

وأعطى الليث ابن لهيعة ألف دينار، وأعطى مالكاً ألف

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص:١٦٩) عن البرجلاني.

* وقع في الأصل: زهير بن أبي خيثمة، وهو خطأ، والصواب ما أثبته؛ فهو زهير بن معاوية أبو خيثمة.

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٨٤).

(٣) مناقب الشافعي للرازي (ص: ١٢٨).

دينار، وأعطى منصور بن عمار ألف دينار، وجارية تساوي ثلاثمائة دينار.

وقال شعيب بن الليث: «خرجتُ حاجّاً مع أبي، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطبٍ، قال: فجعل على الطبق ألف دينار، وردّه إليه».

وقال عبد الله بن صالح: «صحبت الليث عشرين سنة، لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلا مع الناس، وكان له كل يوم أربعة مجالس، منها مجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فيردّه، كبُرتْ حاجته أو صغُرت، وكان يُطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر»[1].

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه، فلا يلقاه أحد من المساكين يسأله إلا أعطاه، فإذا دخل على أهله، رمى بها إليهم فيعدُّونها، فيجدونها سواء كما أُعطيها[2]. وقد قال ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»[1].

(١) وفيات الأعيان (٤/ ١٣١).

(٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل (ص:٢٢٤).

وقد كان السلف مستيقنين بما عند الله؛ راجين للآخرة، ينفقون لله ويبتغون العوض منه، ولا يخافون فقراً، ولا تزعجهم قلة ما باليد، قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «باع عبد الله بن عبد الله بن عتبة أرضاً له بثمانين ألفاً، فقيل له: لو اتخذت لولدك من هذا المال! فقال: أنا أجعل الله عز وجل ذخراً لولدي من بعدي، وأجعل هذا المال ذُخراً لي عند الله، وقسَّم المال على الفقراء»[٢].

ولما كانوا يتعاملون مع الله باليقين والإخلاص، أكرمهم الله تعالى بكرامات عجيبة، وحقق لهم ما وعدهم، ومن حذا حذوهم وجد ذلك حقاً وباشره بحواسه صدقاً.

وهذا الإمام التابعي الجليل عبد الله بن المبارك رحمه الله الذي كان يجاهد في سبيل الله عاماً، ويحج عاماً، كان له مال كثير، يأخذ أرباحه فينفقها على طلبة العلم، حتى جعل الناس يقولون: «يا ابن المبارك! تترك الفقراء والمساكين وتنفق مالك على طلبة العلم، فقال: نعم. إنما أجرهم أعظم عند الله، هؤلاء يحفظون

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٥٦٢)(٢٣٢٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال الألباني: «صحيح».

(٢) المجالسة وجواهر العلم (ص:٤٩١).

سنة رسول الله ﷺ ويحفظون الدين للأمة، أما الفقير فهو معلوم فيعطيه كل إنسان، أما هؤلاء فهم لا يعلمهم أحد، تراهم كأنهم أغنياء، وهم فقراء مقطوعون».

وفي إحدى رحلاته للحج -وكان قد أدى فريضة الحج وذهب ليتنفل- مر بقرية وماتت عنده دجاجة فألقاها على المزبلة، وإذا به يرى بنتاً صغيرة تلتقط الدجاجة وتفر بها، فلحقها فقال لها: «أتأكلين الميتة؟ قالت: نعم. أحلت لنا الميتة منذ شهر، قتل أبي وليس في هذا الكوخ إلا أنا وأخي الصغير، وليس لنا عائل وأنا أجلس عند المزبلة كلما ألقي فيها شيء أخذته وأكلته أنا وأخي، فبكى ابن المبارك وقال لوكيله: اقتطع من مالنا ما يعيدنا إلى بلدنا واجعل نفقة الحج لهذه اليتيمة، فلعل الله كتب لنا أجر الحج وأجر اليتيمة في عامنا هذا».

وكان إذا جاء رمضان ذهب إلى أحياء اليتامى والأرامل والمساكين ووضع بساطاً، ووضع عن يمينه كومة من تمر، وعن شماله كومة من دراهم، ثم ينادي: أيها الفقراء! أيها المساكين! كلوا من تمري هذا حتى تشبعوا، أفطروا عليه، وتسحروا منه، وسأشتري كل نواة بدرهم..

فإذا أكلوا وشبعوا جمعوا النوى بأيديهم ثم جاءوا إليه، فمن أكل مائة تمرة يعطيه مائة درهم، ومن أكل ألفاً يعطيه ألفاً، فيذهبون وقد شبعوا واستأنسوا، فإذا تولوا عنه وقد أكلوا التمر كله وأخذوا الدراهم كلها جلس متواضعاً على صخرة يبكي حتى تخضل لحيته لما يحس في قلبه من الرقة واللين بسبب هذه العبادة.

❋ ❋ ❋

❋ ❋

❋

obeikandl.com